دورة الأنثى

وأحوالها بين الوحي والإنسان

عبد الله بن فهد الخليفي

3

- معالجة الباطل بالباطل.
- عقدة التنفير
- شيطنة السلطة (القوامة)
- إبليس والحسد
- حقوق المرأة في الإسلام

معالجة الباطل بالباطل..

تاريخياً، كان هناك مجموعة من الناس يحاولون أن يردوا على بعض أهل الباطل؛ ليعالجوا إشكالاتهم، فوقعوا في إشكالاتٍ هم كذلك..!

على سبيل المثال:

جاء ناس يحاولون معالجة مشكلة الخوارج فوقعوا في الإرجاء!

جاء ناس يحاولون الرد على بعض العصاة الذين يقولون ذنوبنا مقدرة علينا كتبها الله علينا -ويكأن الله سبحانه لم يقدر عليهم توبة- فوقعوا في القدرية (إنكار القدر)

ومن أشهر الأمثلة تاريخياً الجهم بن صفوان الذي ذهب يناظر قوماً ملاحدة فرجع لنا بمذهبه الجهمي الخبيث الذي هو في حقيقته إعدام للإله!

كثير من الدعاة ماذا يفعلون؟ يناظرون بروحٍ طيبة، روح الداعية، يقول أنت ماذا تريد؟ ماذا تحب؟

لا يقول للإنسان أمامه : ﴿ **قُل هاتوا بُرهانَكُم إِن كُنتُم صادِقينَ** ﴾

يجب أن يكون هناك استعلائية في الخطاب! ليأتوا هم بأدلتهم!

ما أدلتهم على كسر الأدوار الجندرية؟.. ما أدلتهم على نظام الدول المدنية (فصل الدين عن الدولة) ؟

هذه أمور لا بد أن تستدل لها في المقام الأول

لا أن تتحاكم إليها..!

1

عندما يحتفي بعض الدعاة بصورة المنتقبة الناجحة في مجالٍ دنيوي، ويكون ذلك في سبيل الرد على العالمانيين الذين يقولون أن هذه الأمور تعيق ما يسمونه تقدمًا، وهذا النوع من الاحتجاج فيه تسليم للخصم بما لا ينبغي أن يُسلَّم؛

لأن الحجاب الشرعي عندنا يكتسب قيمته من كونه تطبيقٌ لأمر الله العزيز الحكيم ولكونه معبرًا عن ما فطر عليه الله خلقه من الحياء والعفة، لا من عدم كونه عائقًا لنجاح دنيوي زائل. والعالماني الذي لا يعترف بالنقاب في العادة لا يهمه الحياء والعفة، هو يقبل أصلاً العلاقات المحرمة بالتراضي وموضوع العرض هذا لا قيمة له عنده نهائياً..!

فرضنا أن الحجاب الشرعي يعيق انخراط المرأة في العمل وفي الحياة الرأسمالية، لماذا افترضنا أن انخراطها في العمل ونجاحها فيه أعلى قيمة من حجابها ونقابها؟ ما دليلك الشرعي؟

وأنت إن لم تكن مؤمناً بالشرع من الأساس لِمَ تأت لتحاكم ديننا، تحاكم شرعنا بناءً على قيمك الخاصة ؟!!

راجعوا صوتية هبها تعارضت فكيف رجحت ؟!

- خطابنا مع بعض الإخوة الذين يردون على العالمانيين مع التسليم لأصولهم، أنت بتبنيك لأطروحة (الحجاب ليس عائقاً)

تجعل ربّة البيت المسلمة القارة ببيتها النافعة لزوجها وأولادها تشعر بالنّقص بأنها ليست مثل تلك التي حققت نجاحًا دنيويًا وأنتم الآن تحتفون بها!..فستقول (ربّة البيت) بما أنه لا يتعارض لِمَ لا أذهب لتحقيق نجاح دنيوي أنا الأخرى؟

عقدة التنفير..

من الأمور التي تصيب المتكلمين في ملفات النوازل الفكرية ككل -والتي من ضمنها ملف المرأة- "عقدة التنفير"؛ " أنت سبب إلحاد الشباب.. أنت سبب إلحاد النساء.. أنت سبب نفور الناس من التدين.." إلخ...

"أفتانٌ أنت يا معاذ؟" هذه النبي ﷺ قالها لمعاذ أعلم الصحابة بالحلال والحرام، "أقتلته بعد أن قالها!" هذه قالها النبي ﷺ للحِب ابن الحِب، أسامة بن زيد! (الذي هو بمنزلة الحفيد للنبي) ونستفيد من هذا أن فعلاً بعض الأجلاء قد يصدر منهم شيئاً من الكلام المنفر [أحياناً]، نقبل بهذا لكن لا بد أن نكون واقعيين في تعاملنا مع القدوات وألا نهدم كل الحسن لخطأ واحد! مشكلتنا أننا تربينا على [عقدة التنفير] وهي التركيز على أخطاء المتدينين والدعاة والعذر الجاف لكل فاسق فاجر! حتى فتح الباب لأهل النفاق الذين عادتهم ذم أهل الخير بذنوب بعض المنتسبين لأهل الخير..

كما تقول المتبرجة اليوم:"أنا أحسن من هؤلاء المتدينين المنافقين" "أنا صادقة مع نفسي" إلخ..
فلا ينبغي أن تسيطر علينا عقدة التنفير لهذه لدرجة حتى أصبحنا نحابي هؤلاء الناس في ديننا، وقد تأثر مجموعة من الناس بهذا فأصبح خطابهم ضعيفًا..

على سبيل المثال: الجواب المشهور على "شبهة" لماذا المرأة ترث نصف ما يرث أخوها؟
يقولون: "لا المرأة لها حالات كثيرة ترث أكثر من الرجل"
وفي الواقع أن المرأة والرجل إذا كانا في نفس الطبقة فإن الرجل يرث ضعف المرأة، وهذا الأصل! لكنهم لا يقولون هذا خوفاً من [التنفير]..وهذا من باب [الغنم بالغرم]؛

فكما قلنا من قبل؛ الشريعة متوازنة، فالرجل عليه مهر، عليه النفقات، عليه أن يحججها إن كان قادراً، عليه ديّة العاقلة، وعليه الجهاد، وغيرها الكثير، فالأمر غُنمٌ بغُرم، المسألة يسيرة..

شيطنة السلطة (القوامة)..

عندنا مشكلة تسمى " شيطنة الولي أو شيطنة القوامة " هذه المشكلة من الممكن أن يتأثر بها من يعيش تحت نظام قمعي، فبمجرد أن يسمع كلمة " قوامة" يتذكر هذه السلطة.

فتصبح عنده قوامة = سلطة = ظلم

فهو يتصور أن السلطة ينبغي أن تكون مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإلا فلا تصلح أن تكون سلطة !

لما نأتي نتحدث عن سلطة الوالدين كمثال، قال تعالى:
﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾، الآن الوالدان يأمران بشكل واضح بأعظم أمر، الكفر بالله العظيم! ومع ذلك رب العالمين يقول لك أرأيت هذا؟ هذا لا يسقط حقهما عليك، أنت لا تطعهما، ولكن صاحبها في الدنيا معروفا.

إذا خاطبت بهذا فتاة متشبعة بعقدة المظلومية وأيدولوجيا الضحية وقلت لها: " أنت حتى لو كفرت، واجب على ابنك أن يبرك ويطيعك بالمعروف" ستقول وقتها: "والله جميل! ما أجمل الدين!"
ولكن إذا جئت وقلت لها أن والدك هو أيضا لو كفر فعليك أن تبريه وتطيعيه بالمعروف، وقتها ستغضب ولن يعجبها الكلام!

كل واحد يريد ما له من الحقوق ولا يريد ما عليه، وأمر الزوج كأمر الوالدين (كلاهما سلطة) وكلاهما من طاعة رب العالمين سبحانه لأنه من أمرنا بهذا..

إبليس والحسد..

إبليس ما مشكلته الكبرى؟ الحسد، الكبر، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ كيف آدم أفضل مني؟! طيب يا إبليس مالك لو سجدت مثل الملائكة وبقية ذرية آدم فيهم الصالح والطالح، فأنت تصير أفضل من الطالح والصالح يصير أفضل منك؟ ولكن، لا! ضيّع نفسه بالكبر والحسد، وأُخرج من الجنة وأصبح ملعوناً..أقوام الأنبياء ما منعهم من الإيمان؟ الكبر. فرعون ما مشكلته مع موسى؟ رأى الآيات ولم يتبعها! وعموم أقوام الأنبياء مشكلتهم الكبر.

فنحن لا يجب أن تكون هذه نفسيتنا وعقليتنا عند نظرنا للنصوص وما أمرنا به ربنا سبحانه، ديننا مبني على التسليم لله، قال الله، قال الرسول ﷺ؛ نقول سمعنا وأطعنا، والتفضيل سنة الله في خلقه، ونحن جئنا هنا لنعبد الله ونوحده لهذا خلقنا الله، ونحن نتعبد لله بما أمرنا به سبحانه. ونحذر أن نكون مثل إبليس والعياذ بالله أن نتكبر على أن نتبع أوامر الله لهوى في أنفسنا أو أن نحسد من آتاهم الله من فضله استكبارًا وعلوًا، قال الله تعالى :

﴿وَلا تَتَمَنَّوا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعضَكُم عَلى بَعضٍ لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا اكتَسَبوا وَلِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمَّا اكتَسَبنَ وَاسأَلُوا اللَّهَ مِن فَضلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمًا﴾

حقوق المرأة في الإسلام..

كثير من الإخوة إذا تحدث عن " حقوق المرأة في الإسلام " أو الفرق بين حالها في الإسلام والجاهلية بذل جهداً عظيماً، ولكنه يغفل عن أن أصل الشبهة إنما تولد من منظومة [المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة] أو التمييز الإيجابي أو عقدة المظلومية.

فصرنا كأننا نقول للمخالفين لنا في الملة [نحن أفضل منكم لأننا أقرب لهذه المنظومة(المساواة المطلقة وغيرها) والتي هي منظومة حادثة من الأساس هم من جاءوا بها بلا أي دليل..

فاليوم لما نسمع كلمة [قوامة] يجب أن يخففها بعض إخواننا الطيبين بـ [تكليف لا تشريف!]

لا هي تكليف وتشريف معًا؛
فلا تكليف بدون تشريف أساسًا!

ومع ذلك الطاعة بالمعروف، أي لا طاعة في معصية، فالله سبحانه فوقك وفوقه!

فصار كثير من تعداد محاسن الشريعة كأنه تقرب لهذه المنظومة الفاسدة التي تخالف الشرع والفطرة بشكل قطعي. وهذا جعل كثير من الناس يريدون أن تكون الشريعة سائرة على هذه المنظومة في كل شيء؛ ولهذا عادى من عادى منهم الفقهاء وأنكر من أنكر منهم السنة..

يأتون للحديث عن حقوق المرأة فيقولون..

بما لها من حقوق في كتب الفقهاء ويدخلون فيها عرف المجتمع وغيرها من المزايا، بينما إن تحدثوا عن ما عليها من الواجبات تجاه زوجها لا يخاطبونها إلا بأقل القليل من المذكور في كتب الفقهاء..

تأتي مثلاً لتحدثها عن مسألة خدمة الزوج، تقول خدمة الزوج ليست واجبة! لست خادمة عندكم؟ طيب وزوجك الذي يكدح ليل نهار لينفق عليك ويوفر لك عيشة هنية هذا خادم عندك؟

أحد الأفاضل عمل سلسلة عن النسوية، فعلقت عنده إحداهن وقالت: "كنت أعاني من مشكلة مع الفقهاء وأنت أصلحتها لي!" فقلت له وقتها "هذا التعليق الذي فرحت به أحزنني! فما هي مشكلة هذه الفتاة مع الفقهاء؟ ويكأن الفقهاء متآمرين عليها! متفرغين لها هم؟!" لما لا تنظر للفقهاء العلماء الذين أثنى عليهم الله في كتابه نظرة أبوة، نظرة خير ومحبة وتقدير لا نظرة مؤامرة؟ هذا لأنها متأثرة بفلسفة معينة،

فأنت بدلا من أن تعالج المشكلة من جذورها وأصلها جئت لها بالكلام الذي يسلم لها بهذا الأصل الفاسد وكأنه لا إشكال فيه، فيجب النظر إلى أصل المشكلة نفسها كي نتمكن من علاجها، فإذا عُرِف الداء عُرِف الدواء بإذن الله..